

## جناح متمد



بشينة خليفة قاسم

كاتبة من البحرين

## حديث الروح..

■ يا حياة حياتي، سأحاول أبداً أن أبقى جسدي نقياً، عالماً أن لمستك الحية تعلق جميع أعضائي.

سأحاول أن أجلي الزيف عن جميع أفكار، عالماً بأنك أنت الحقيقة التي توقظ نور الحق في فكري.

سأحاول أبداً أن أطرد كل الشرور من قلبي، وأن أبقى حبي في وردة، عالماً أنك تتخذ مقعدك في المكان المقدس الخفي من قلبي. وأنه لمن واجبي أن أفشيك في كل أعمالي، عالماً بأنها قدرتك التي تمنحني القوة للعمل. إنني أطمع في لحظة من الراحة إلى جانبك.. كل الأعمال التي بين يدي سوف أنجزها فيما بعد..

بعيداً عن رؤية وجهك، فإن قلبي لا يعرف الراحة ولا الاستقرار، وعملي يتحول إلى ضنى لا متناه على بحر لا شاطئ له من العناء..

اليوم أقبل الصيف لنافذتي بتنهاته وهمساته، والنحلات تلعب أناشيدها في محراب الأيكة المزهرة.

الآن أن الأوان لأن أجلس في هدوء، ووجهي قبالة وجهك، وأن أغني نذر الحياة في هذا الصمت وفي هذا الفراغ الغامر.

دع عنك الأناشيد، والترانيم، وحديث السباحات.. من تراك تعبد في هذه الزاوية المهجورة المظلمة في معبد نوافذه كلها موصدة.

إنه هناك حيث الضلح يفلح الأرض القاسية، وحيث العامل يحطم الصخور، إنه معهما تحت الشمس والمطر، ورداؤه معطر بالغبار، انزع معطفك المقدس واهبط مثله على الغبراء.

الخلاص؟ أين يوجد هذا الخلاص. إن مولانا ذاته -غبطة- تكفل بروابط الخلق، وقد ارتبط بنا إلى الأبد. اخرج من تأملاتك ودع جانباً زهورك وبخورك! ماذا يضير لو تقطعت ملابسك إذ تعفرت. قابله وقف إلى جانبه في الكدح وفي عرق وجنتيك. إنني أنتظر الحب فقط لاستسلم بين يديه أخيراً..

لهذا فالأوان فات ولهذا صرت أشماً في هذه الغفلة.. جاؤوا بقوانينهم ونظمهم- يقيدونني، ولكنني تفاديتهم للأبد لأنني أنتظر الحب لاستسلم بين يديه أخيراً..

يلومني الناس ويروموني بالطيش، إنني لا أشك أنهم على صواب في لومهم. انتهى يوم البيع والشراء وأنجز المشغولون جميع أعمالهم. أولئك الذين جاؤوا يدعونني عبثاً، عادوا غاضبين.. فإنني أنتظر الحب فقط لاستسلم بين يديه أخيراً.

لا أعلم كيف غنيت يا معلمي. إنني أبداً أصغي في طرب صامت. نور موسيقاك يضيء الدنيا. نفس الحياة في موسيقاك ينساب من سماء إلى سماء.. نبع موسيقاك المقدس يحتاج كل العقبان ويمر.

قلبي يتوق لمشاركتك الغناء ولكن عبثاً يصارع من أجل الصوت.. أود النطق، ولكن الكلام عبي عن أن ينفجر بالغناء، فأبكي من الارتباك.. أه يا معلمي لقد جعلت قلبي أسير شباك موسيقاك اللامتناهية..

لقد رمت أغنيتي حليها، ولكن تتباهى باللباس والزينة، فالحلي قد تعيق اتحادنا وتحول بيني وبينك، فتطفي وشوشتها على همساتك..

إن زهوي كشاعر يموت من الخجل أمام نظرتك. أيها السيد الشاعر، لقد اتخذت مجلساً عند قدميك.. فدعني فقط أجعل حياتي بسيطة مستقيمة، كمزمار من القصب تملأه بموسيقاك..

أيها الأحق الحامل نضك على كتفك! يا من جئت تستجدي متسولاً على باب بيتك.. دع كل حملك بين يدي القادر على حمل كل شيء، ولا تلتفت إلى الخلف في أسف.

إن رغبتك لتطفي جذوة المصباح فوراً إن لامستها بأنفاسها.. إنها ليست طاهرة، فلا تقبل هداياها من يديها الملوحتين، واقبل فقط ما يقدمه الحب المقدس لك..

إن الوقت الذي تستغرقه رحلتي طويل ودرجه طويل.. جئت على المركبة مع تباشير الصباح الأولي، وتابعت سفري خلال مجاهل العالم مخلطاً أثري على العديد من النجوم والكواكب.. إن أبعد المسافات هي التي تقترب منك، وذلك ألم التمرين والصعوبة القصوى التي تؤدي إلى بساطة اللحن الكاملة.. فعلى المسافر أن يقرب باب كل حليف ليصل إلى بابيه هو، وعلى الواحد أن يجوس خلال العوالم الخارجية ليصل إلى المعبد الأعمق في النهاية..

عيناها تاهتا بعيداً وعميقاً قبل أن أغمضهما وأقول "ها أنتذا" ..السؤال والصيحة " أه، أين " ذابت في دموع آلاف الجداول وغمرت بفيض اليقين " ها أنتذا " ..الأغنية التي جئت لإنشادها بقيت دون أن تغني حتى هذا اليوم، أفنيت أيامي وأنا أرخي وأشد أوتار آلتني.. فالوقت لم يستع، والكلمات لم تتسق جيداً، غير أن في قلبي ألم الأمانة.. البرعم لم يتفتح، بيد أن الريح تزهر بقربه.. لم أر وجهه، ولا أصغيت لصوته، فقط سمعت وقع خطاه الهادئة أمام بيتي.

مضى نهار حياتي كله وأنا أهين مقعده على الأرض، لكن السراج لم يشعل ولا أستطيع دعوته إلى بيتي.. إنني أحيا على أمل اللقاء به، ولكن هذا اللقاء لم يحن بعد! إنني هنا لأنشد الأغاني لك، في قاعتك هذي، لي مقعد في الزاوية.. في عالمك لا عمل أؤديه، فحياتي العقيمة لا تحسن سوى أن تتفجر بأنغام لا غاية لها.. حين تحين ساعة صلاتك الصامتة في معبد منتصف الليل الحالك، مرني يا سيدي للمثول أمامك لأغني..

في نسيم الصباح عندما يعزف المعزف الذهبي، مرني، امنحني شرف المثول أمامك.. لقد تلقيت دعوته إلى عيد هذا العالم، ولذلك أصبحت حياتي مباركة. عيناها راتا وأذناي سمعتا.

لقد كان عليّ في هذا العيد أن أعزف على آلتني، وقد فعلت كل ما استطعت.. وإنني لأسأل الآن، هل أن الأوان أخيراً كي أدخل فأرى وجهك وأرفع لك تحياتي الصامتة ■

B7747@HOTMAIL.COM